بحث عام | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 08 ماي 2018

المقاربة السوسيولوجية للموت انتحاراً

نعيمة شيخاوي
باحثة مغربية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

المقاربة السوسيولوجية للموت انتحاراً[1]

1- نشر هذا البحث في مجلة ذوات الصادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، عدد 43

«[...] هناك «أشخاص» لا يحظون بالشكل التام بالاعتراف لهم بهذه «الشخصنة»، كما أن هناك «حياة» لا يعترف بها بالشكل التام، أو قد لا يعترف بها أبدا بأنها «حياة» - «حية» «جوديت بتلر Judith BUTLER»[1]

أصبحت قضايا الموت، مع ما يصاحبها من «تطبيع يومي وتعايش» قد يبدو لا مباليا، تسائل المجتمعات الحالية بإلحاح خاصة مع ما يطلق عليه «**صناعة الموت**»، والتي تخصّ بشكل عام الفعل الإرهابي، ومنه على أوجه أخص الحامل مبدئيا أو تصريحا لوازع ديني معين بمرجعية متطرفة.

لكن الغريب، أن استحضار البعد التاريخاني المجتمعي يكشف عن «صناعة موت» قديمة- متجددة تبدو موضوع تغييب، وهي تلك المرتبطة بتعنيف النساء بكل الأشكال. عنف لا يحصد فقط مسارات الحياة، بل أيضا يحصد الأرواح. تعيش المجتمعات «**صناعة موت**» في تطبيع منظم ومهيكل اجتماعيا، حيث يصعب مثلا أن نعرف «كيف يعيش الإنسان(ة) العربي(ة) والمسلم(ة) هذا الصنف من الموت كفقد وغياب؟ وكيف يتمّ من خلاله الشعور بالنهاية الحتمية «في هذه الحالات»؟

ينصبّ اهتمامنا إذن، بالأخص على ما يطرحه الموت في حالة العنف الموجه للنساء كونهن نساء، ونعتمد وضعية واحدة، وهي الموت انتحارا عند النساء ضحايا الاغتصاب؛ أي ما معاني وما أبعاد «المجتمعي» في «صناعة» هذا النوع من الموت؟ وما موقع «الفردي» في حبك «حبل» هذا الموت؟

يتحدد «الموت» في القرن الواحد والعشرين عموما، وعلى المستوى العالمي، إضافة إلى المحددات الثقافية والدينية التي قد تختلف، على ضوء المعارف العلمية الطبية والتطور الديموغرافي والمجالي، ويلخص **لوي فانسو توما Louis-Vincent Thomas 1922-1994**، هذا المعطى الشمولي الجديد في التمييز الدقيق حاليا ما بين الموت الإكلينيكي، والموت الجيني، والموت الأيكولوجي في ظاهرة تصاعد نسب "الأمل في الحياة" وما وازاها، إلى جانب عوامل علمية أخرى تتمثل في بعد أفق "أبدية" الإنسان، التي أصبحت محور تساؤلات فلسفية، وموضوع اشتغال علمي متواتر.

1- الاستشهاد النصي للفيلسوفة جوديت بتلر مأخوذ من مؤلفها:

Ce qui fait une vie. Essai sur la violence, la guerre et le deuil, traduit de l'anglais (États-Unis) par Joëlle Marelli, Paris, La Découverte, «Zones», 2009,

تم الاعتماد على المؤلف الورقي:

Judith Butler Vie précaire .Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre .2001 Paris .Editions Amsterdam2005 .

وعلى المصدر الإلكتروني التالي:

http://www.editions-zones.fr/spip.php?page=lyberplayer&id_article=110

ما يستوقفنا كأخصائيين وأخصائيات في مجال الأنثروبولوجيا، هو ما يوازي هذا التحول المفاهيمي المواكب لتطورات علمية مفتوحة على كل احتمالات التأكد أو النفي، هو التحديات الإنسانية كبناء ثقافي مجتمعي يستحضر الفرد والمجموعة، ويطرح تساؤلات مستفزة، أخلاقية وفلسفية، وخاصة اجتماعية، في بعدها السياسي، إن لم نقل اليومي، الذي يعني الجميع.

تسعفنا قراءة أنثروبولوجية نقدية في نفاذ هذه التحديات، وهي قراءة تغذت من مقاربات إنسانية مختلفة ومتشعبة لمسألة "الموت"، على رأسها تلك الإفريقية التي تفاعل معها كمجال اشتغال ميداني فكري واسع. هذه القراءة هي للأنثروبولوجي **لوي فانسو توما Louis-Vincent Thomas، الذي من بين عناصر أخرى**، يخلص إلى سرد عناصر وجيهة لمساءلة هذه التحديات: "يقول **R. W. C. Ettinger إن الإنسان يسعى إلى أن يظل أبديا، فليبدأ (ذلك الإنسان) بمناهضة (جرم) الإبادة الجماعية والحرب والمجاعة التي تعصف بثلثي الإنسانية، حوادث السير (30 000 وفاة سنوية في الولايات المتحدة)، التلوث المجالي. كل موقف آخر ليس إلا وهما ونفاقا"**.[2]

ونحن نتقاسم هذا الرأي- الموقف الفكري، نضيف مثالا آخر قد يكون الأقصى، لأنه ليس وليد تحولات جديدة أو مستجدة، ولكنه مكون بنيوي للمنظومات الاجتماعية التي تعاقبت عليها الأزمنة، ألا وهو عنف وتعنيف النساء، أو ما نصطلح عليه حاليا بالعنف القائم على النوع الاجتماعي.[3]

المفارقة الغريبة في واقع حال نصف البشرية من النساء، هو أنهن من يحمل ويتحمل إعادة تجديد البشرية، على الأقل حملا للجنين إن لم نقل إلى حد بعيد في ضمان بقاء كائن يعتبر علميا إلى حدود الآن هو الأقل نضجا عند الولادة من حيث سيرورة الاستقلالية مقارنة مع الكائنات الأخرى، بمعنى آخر، إنه إن لم يكن موضوع رعاية خاصة جدا، نفسية وعاطفية انفعالية وتغذوية وغيرها من طرف المرأة أو معوضها بنفس التفاني، لكان مهددا بالموت الرمزي نفسيا وأحيانا الفيزيقي الفعلي.

تُقتل هؤلاء النساء في مجتمعات الهيمنة السلطوية الذكورية، رمزيا ومعنويا كل يوم، كما تُقتل عبر جل أشكال العنف، وأقصاها الموت الفعلي أو قتل الذات انتحارا بعد التعرض للعنف. غالبا ما يصاحب

2- هو Robert Wilson Cherster Ettinger (1918-2011) باحث جامعي أمريكي، أول من أصدر مؤلفا سنة 1962 حول بقاء الإنسان الأبدي: La perspective de l'immortalité اعتقد في كون تقنية وضع «الجثة» في ظروف برودة شديدة مع إضافة مادة الآزوط فهي تضمن فرصة إعادة بعث الحياة التي يؤمن بها كإمكان جد محتمل: Cryogénisation. له مؤلف صدر سنة 1981: الإنسان، هل هو أزلي (أبدي)؟

3- يعرف الإعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، المعتمد من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرارها 104/48 المؤرخ في 20 كانون الأول/ ديسمبر «العنف ضد المرأة» في المادة 1- 1993: «أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي ممن الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة».

http://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/Vienna.aspx.

الانتحار، حسب الإحصائيات، حالات العنف المعنوي المتمادي زمنيا، وما يحدث على إثر معاناة معاش العود من طرف المعنف، وفي حالة العنف الجنسي عبر الاغتصاب.

أي نفاق سوف يكون هنا، بحماية النفس قبل السعي في عدم زوالها، وهي تجهض عبر الموت العمد أو الإجبارية ضمنيا، أو ربما بشكل غير مباشر في حالة انتحار الضحية. أما الوهم في نفس الحال، فهو هنا بالضبط غير وارد لأن الأرقام المتوفرة حاليا، وعلى مستوى بعض البلدان خاصة، يفصح بكل جلاء عن مساحة تهديد مهمة بانقراض النساء في بعض بقاع العالم عبر موت العنف القائم على النوع الاجتماعي، فكيف تجد النساء أي صدى ولو فلسفي هنا لطوباوية أو إمكان بقاء أبدي؟ وكيف مع أرقام مفزعة من حيث التعرض للتمامة[4] الجسدية والنفسية والعقلية والمعنوية، التي توصل أحيانا للموت، يمكن أن نخمن في إشكالية الفقد وألم الحداد، وغيرها من طقوس التعايش الثقافي مع فكرة وحتمية الموت؟

1. تهديدات موت النساء في بضعة أرقام

اعتمادا على بعض الإحصائيات المتداولة من طرف الأمم المتحدة، 53%[5] من النساء في العالم هن ضحايا عنف جسدي أو جنسي من طرف رجل شريك حميمي أو قريب، ويصل هذا الرقم في بعض البلدان إلى 70%[6]. الرقم الاستشهادي الذي يهمنا هنا، هو الذي يسجل بأن من مجموع النساء اللواتي قتلن في 2102، نصفهن تمت تصفيتهن على يد رجال تربطهم بهن قرابة أو علاقة حميمية. وفقط 6% من الرجال، وفي السنة نفسها قتلوا في نفس الظروف.[7]

يأخذ الموت الناجم عن فعل العنف القائم على النوع الاجتماعي، قمة شحنة استفزازه لنا على المستوى الإنساني أو الفكري، في الحالة الخاصة التي يصطلح عليها حاليا، سواء في أدبيات المنظمات الأممية ومنها المنظمة العالمية للصحة أو في إصدارات علمية في أبحاث خاصة، بالعنف الموجه للفتيات والنساء، وهو مصطلح "fémicide" "إبادة النساء". التعريف الدقيق لهذا المصطلح، مع تغطيته لكل قتل من طرف رجل

4- «Intégrité physique, morale et psychologique de la personne» ترجمة شخصية لعبارة واردة في تعريف العنف اتجاه النساء في المادة 1

5- Organisation Mondiale de la Santé, Département Santé et recherche génésiques, London School of Hygiène and Tropical Médicine, Conseil sud-africain de la Recherche médicale (2013). Estimations mondiales et régionales de la violence à l'encontre des femmes: prévalence et conséquences sur la santé de la violence du partenaire intime et de la violence sexuelle exercée par d'autres que le partenaire, p.2.http://www.unwomen.org/fr/what-we-do/ending-violence-against-women/facts-and-figures

6- Les femmes dans le monde 2015, Tendances et statistiques, Chapitre 6, La violence contre les femmes, Dépa - tement des affaires économiques et sociales des Nations Unies, 2015

7- Office des Nations Unies contre la drogue et le crime (2014). Étude mondiale sur l'homicide 2013, p. 14. http://www.unwomen.org/fr/what-we-do/ending-violence-against-women/facts-and-figures.

لامرأة، يكمن في البعد الجنسي، والذي يفي أن المرأة أو الفتيات تقتلن لمجرد أنهن نساء، من هنا "الشرعية" الثقافية الذكورية لاقتفاء قتل قد لا يعاقب عليه، كقتل "الشرف"[8]، "قتل الصداق"، وهو قتل المرأة لنفسها أو من طرف قريب عائلي كالأب لعجزها أو عجز أسرتها عن توفير صداق من أجل تزويجها، أو حتى في حالة مدها لصداق قد تعتبره عائلة زوجها غير كاف وتقدم على قتلها.

بخصوص هذا الموت، الناجم عن عدم توفير صداق الزواج في الهند، غالبا ما لا تحتسب الأرقام حالات القتل بالإجهاض للجنين، الذي يفصح عن أن جنسه أنثى، ولا موت النساء اللواتي يقدمن على الإجهاض لنفس السبب، الذي نبأ طبعا عن ضرورة سد "الصداق" مستقبلا عند وصول موعد الزواج. الرقم المتوفر مثلا يقول بنسبة 25 ألف قتيلة سنويا بالهند بسبب عدم سداد صداق الزواج.[9]

تعرف الصين حاليا إلى جانب الهند، عدم توازن ديموغرافي مقلق، نظرا لندرة النساء البالغات سن الزواج، وهو ما يسمى حاليا من طرف أخصائيي الديموغرافية (Femmes manquantes "الخصاص في النساء")، بمعنى النساء اللواتي كان من المفروض أن يولدن، ولكن تم حذفهن بسبب جنسهن. لنحدد هنا أن الأمر يتعلق بجنسهن البيولوجي الذي يحيل ويُنبئ بجنسهن الاجتماعي، الذي يبنيه مجتمع الرجال عموما من منطلق توزيع السلط التي تتكتل لديهم دون النساء.

كم من امرأة ماتت قبل أن تُولد، أو لم يسمح بأن تولد، لأن الأفضلية للمولود الذكر، ولأن المولودة تولد بدونية أحالتها تمثلات المجتمعات «لطبيعة» لا حق لها في الوجود، وبالتالي تتدخل فيها بإقصائها وقتلها. هكذا يقرأ خصاص النساء اللواتي حكم عليهن بالموت قبل الولادة، وحسب بعض الأرقام التالية: 60 مليون في الصين والهند، 3 ملايين في البنغلاديش، في أفغانستان ما يقارب المليون، في تايوان 400 ألف، وفي كوريا الجنوبية 150 ألف. ويبدو أيضا أن هناك دولا أخرى معنية، وهي: النيبال، الفيتنام، أذربيجان، جورجيا، وأرمينيا. جغرافية هذا الصنف النوعي الاجتماعي من الموت واسعة، وفي هاته البلدان المعنية، ما يقارب 150 مليون امرأة لم تولد - أو قتلت قبل أن تولد بأساليب مختلفة - وذلك منذ ما يقارب 30 سنة. نفس العدد من الرجال، يواجه تهديد عدم التمكن من الحصول على زوجة.[10]

هناك موت آخر يرتبط بالعنف الجنسي الموجه ضد النساء كونهن نساء، وهو الانتحار جراء التعرض للاغتصاب، فمن خلال الرقم العالمي الذي يقول: إن امرأة من بين ثلاث نساء تعرضت على الأقل مرة في

8- تقول الإحصائيات إن ما يقارب 5000 جريمة قتل شرف تسجل سنويا خاصة في دول الشرق الأوسط وجنوب آسيا.

9- PATH. Strengthening understanding of femicide. Seattle, Program for Appropriate Technology in Health, 2008. 5. Patel S, Gadit AM. Karo-Kari: http://apps.who.int/iris/bitstream/10665/86253/1/WHO_RHR_12.38_fre.pdf

10- http://www.la-croix.com/Actualite/Monde/Un-desequilibre-demographique-qui-inquiete-l-Asie-_NG_-2010-03-05-547868

حياتها، لاغتصاب أو محاولة اغتصاب أو لممارسة الجنس تحت الإكراه والضغط[11]، نجد أنفسنا أمام ظاهرة قائمة، فإذا كان من المعروف أن الاغتصاب والعنف الجنسي عموما، هو من أشكال العنف التي يتم السكوت عنها، وتنسى في تغييب «الطابو» أو المحرم، فإن الموت الذي يتبعها جراء الانتحار، يعرف نفس الكتمان والتستر، مما قد يشكل رقما أسود من الصعب الحصول عليه واعتماده في التحليل والفهم.

لكن ما يهم من هذا المثال وتلك التي استحضرنا، هو ما يمكن أن نختزله في سؤال واحد: هل النساء والرجال متساوون في الموت وفي ظروفه عموما؟ وهل الموت انتحارا هو قتل للذات أم قتل بالنيابة عن القاتل من طرف الضحية التي تم اغتصابها؟ وما معاني الموت هنا؟

إن المنطلق المفاهيمي المحدد لمسألة «الموت» عبر الانتحار في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، مدخل مسعف لمحاولة بلورة بعض المعاني، وتكمن قوة وجاهته في أنه مدخل ينطلق من واقع معيش، مؤلفوه ومؤلفاته من أفراد هم أنفسهم يحملون تصورات وتمثلات حوله كمعاش داخلهم وخارجا عنهم في نفس الآن. البناء المفاهيمي لهذين الحقلين المعرفيين يطرح «الموت» كشأن إنساني متعدد الأبعاد من حيث تداخل وتعقد أسبابه الفردية الشخصية والمجتمعية والأيكولوجية.

لكن المفارقة الكبرى التي نواجهها، ونحن نستحضر بعد النوع الاجتماعي، أو فقط البعد النسائي كما في بعض المراجع الواردة في هذا الباب الموضوعاتي، هي إما تغييب متغير العلاقات الاجتماعية ما بين الرجال والنساء، أو متغير الجنس كمبنى اجتماعي «construit social»، بالنسبة إلى المصادر السوسيولوجية العامة، أو التي لا تتخذ علنا زاوية نظر مقاربة النوع الاجتماعي. وهنا نشير إلى متخصص في دراسة الإرث الفكري السوسيولوجي فليب بيزنغ Philipe Besnard 1942 - 2003[12]، الذي وهو يحاور أول معالجة سوسيولوجية تاريخيا لموت الانتحار لإميل دوركايم، يقف عند نقطة جوهرية في الطرح الدوركايمي، وهي أن المفكر السوسيولوجي أقصى النساء من "الإنسانية" من منطلق البراديكم الرئيس في نظريته المؤسسة للمجتمع، ذلك أنه إذا كان الإنسان - الرجل هنا - يتميز في طبيعته بأن رغباته وأهواءه لا حد لها، وبأنه بدون سلطة وإكراه المجتمع قد يستنزف ذاته في السعي غير المتناهي نحوها، فما موقع المرأة، وهي المقصية من هذه الإنسانية؟

11- مصدر المعطيات منها الرقمية هو:

https://www.amnesty.ch/fr/themes/droits-des-femmes/faits-chiffres-et/faits-et-chiffres

12- Philippe Besnard. « Durkheim et les femmes ou le Suicide inachevé »,in: Revue française de sociologie Année 1973 Volume 14 Numéro 1 pp. 27-61 http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1973_num_14_1_2177

يصل فليب بيزنغ Philipe Besnard 2003 -1942[13] إلى هذه الخلاصة، وهو يعطي جزءا من الجواب: **«لكن هلا انتبهنا إلى أنه (بكلمة) «رجل» «homme»، يلزم فهم الجنس الذكر، وبأن المرأة هي مقصية من هذه الإنسانية التي قد تضيع في الرغبة اللامنتهية لولا النفوذ الأخلاقي؛ أي الاجتماعي الذي يحد أفقها".**

إن معالجة هذه الإشكالية بالاعتماد أساسا على مؤلف «الانتحار... دراسة سوسيولوجية»[14]، يجعلنا نقف أمام مسألة «الموت» من مدخل انتحار المغتصبة جنسيا، خاصة في إطار ثقافة ذات بعد ديني إسلامي أو توحيدي عموما، والذي يحرم قطعا موت الانتحار.[15] ويعتبر فليب بيزنغ- Philipe Besnard (1973) أن مؤلف «**الانتحار، وبناءً على معالجته المنهجية والفكرية لوضعيات النساء، فهو قد جاء غير مكتمل**»، وبالتالي فالطرح المقترح لقراءة وفهم الانتحار غير مستوفي نظريا. لهذا، فالمعالجة الاختلافوية للانتحار بالنسبة إلى الرجل والمرأة عند إميل دوركايم تطرح تناقضات ومفارقات. وسوف نرى بدورنا أن الطرح الديني الإسلامي للانتحار غير متناسق مع انتحار المرأة المغتصبة، بل أبعد من ذلك، فهو يفصح عن تناقضات، قد تطعم شرعية طرحنا الفكري الإشكالي لهذه الورقة، وهو ما نبلوره في السؤال التالي:

هل موت المعنفة جنسيا في حالة الانتحار يوازي قتل نفس أم قتل قيمة تختزل في جسد، وهي «العار»؟ وهل قتل الذات هنا انتحارا، هو تنفيذ فعلي لقتل رمزي يجعل من امرأة «هُتك عرضها» أو «دنس جسدها» جراء عنف جنسي من طرف رجل «ميتة» اجتماعيا ومعنويا ونفسيا؟ وما مساحات تغييب هذا الموت الرمزي والموت الجسدي «الطبيعي»؟ وأي خطاب أو عناصر ذاكرة تتبع افتقاد المعنية بموت الانتحار؟ ثم أي تصور لما بعد الفقد هنا، وما قبل الفقد في حد ذاته كان حاملا لتجارب تهديدات بالموت؟

أين تقف حدود «الحرام» في موت الانتحار، وفي «قتل العنف الجنسي» الذي يحكم بالموت لأن الفعل الجنسي هنا «حرام»، ولو جراء الاغتصاب وليس جنس «حلال»؟ ولماذا غالبا ما تموت المغتصبة جنسيا انتحارا، ويُشفع للرجل الذي يقتل «ثأرا للشرف»، علما أنه يقتل أيضا نفسا يحرم قتلها؟ نطرح هذه الأسئلة لإثارة النقاش، وفتح أفق ومساحات تفكير ولا ندعي أبدا أجوبة مستفيضة.

13- Philippe Besnard. « Durkheim et les femmes ou le Suicide inachevé »,in: Revue française de sociologie Année 1973 Volume 14 Numéro 1 pp. 27-61 http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1973_num_14_1_2177. p.27

14- Nasrullah M, Haqqi S, Cummings KJ. The epidemiological patterns of honour killing of women in Pak - stan. European Journal of Public Health, 2009, 19(2): 193–97.http://apps.who.int/iris/bitstream/10665/86253/1/WHO_RHR_12.38_fre.pdf

15- اعتمدت المساهمة النسخة الرقمية لمؤلف إميل دوركايم (الانتحار، 1897) المنجزة والموضوعة من طرف أخصائي السوسيولوجيا Jean-Marie Tremblay

2. المقاربة السوسيولوجية للموت انتحارا

لا منحى عن طرح عالم الاجتماع الفرنسي **إميل دوركايم** Emile Durkheim 1858-1917، بخصوص "الانتحار"، فهو يعد من أوائل مؤسسي هذا العلم، خاصة باشتغاله المنهجي المسحي والإحصائي حول ظاهرة "الانتحار"، التي يعالج أسبابها الاجتماعية. يكمن المضمون الرئيس لهذا الطرح النظري في كون "الانتحار" لا ينفصل عن المجتمع حتى في تمظهره كفعل فرداني ومتفرد، بل أكثر من هذا، فالانتحار تعبير صريح مباشر وغير مباشر، عن أن الفرد مجتمعي وأن المجتمع يشرط حياة الفرد ويحددها. وهذا الارتباط العضوي ما بين ظاهرة الانتحار والمجتمع، يمكن استقراؤه من واقع حال الظاهرة ذاتها داخل مجتمع معين. فكيف وإلى أي حد يموت الأفراد من جراء الانتحار؟ قد يأتي الجواب من وضعية تزايد حالات الموت انتحارا، أو بمعنى آخر من درجة تفشي ظاهرة الانتحار، والتي تواكب فترات وهن واضمحلال المجتمعات بسبب ضعف التماسك والاندماج الاجتماعي. لا غرابة في أن يخلص إلى أن الانتحار يضعف في حالة التماسك الأسري، كما يؤكد أن النساء غير الأمهات أكثر عرضة للانتحار مقارنة باللواتي لهن أطفال، يليهن الأزواج الذين لهم عدد قليل من الأطفال، لنصل إلى أن العُزاب من الرجال هم الأكثر هشاشة تجاه تهديد الانتحار.

ما نقف عنده وخارج أي تفكيك لوجاهة الطرح الذي قد يناقش من منطلق المسلمة النظرية الرئيس **لإميل دوركايم**، والتي تعتبر أن الفرد لا ينفصل عن المجتمع، وبأن حياته مشروطة أولا وأخيرا بكونه فردا مجتمعيا قبل أن يكون له بعد سيكولوجي، هو مدى تداخل العوامل المجتمعية في ظاهرة الانتحار، والتي مع إعادة تقديرنا ليست فقط اقتصادية أو وليدة أزمة مجتمعية عامة يطرحها إميل دوركايم من خلال مفهوم الوهن والاضمحلال أو «الأنوميا» «anomie»، ولا تتلخص في "عدم توازي وتناسق الحاجيات مع الوسائل"، أو كما هو الحال في "الوهن والاضمحلال الزواجي" anomie conjugale الذي يكون نتاج ضعف الانضباط السلوكي الزواجي الذي حسب الأخصائي الاجتماعي يضاعف من حالات انتحار الرجال، بل هي مرتبطة أيضا بخصوصيات العلاقات الاجتماعية التي تحدد علاقات الرجال بالنساء من حيث حيف ومعاناة غياب المساواة والإنصاف، اللذان غالبا، ومنذ عهود غابرة، يحددان هذه العلاقات وعلى جميع المستويات الحياتية.

ومع هذه الهفوة النظرية والمنهجية، نسجل معطى إمبريقيا مهما أكد عليه الطرح، وهو أن «**المجموع الاجتماعي لحالات الانتحار يوازي ميلا للمجموعة داخل المجتمع.**» بمعنى آخر، فالانتحار عندما يشكل ظاهرة قائمة على تقاطبات اجتماعية، فهو يعبر عن ميل عام قد يكون خاصا بمجموعة مجتمعية معينة. ونحن سوف نتساءل عن مجموع نساء يتعرضن للعنف الجنسي ومنه الاغتصاب، يلجأن إلى الموت انتحارا،

وفي واقع الأمر، إما أن عددهن في تزايد، وإما أن صك المحرم و«الطابو» أخفى حقيقته لسنوات وقرون، إضافة إلى التطبيع مع ما هو «صنعة» مجتمعية.

وأخيرا، فما يهمنا في الطرح الدوركايمي، هو تحديده لمفهوم الانتحار، والذي نعتمده في بلورتنا لإشكالية الموت انتحارا عند المغتصبة جنسيا في محك ازدواجية **الحلال/الحرام**، والذي يضبط كل دقائق الأمور الحياتية والوجودية للفرد في الدين والثقافة الإسلامية وعلى رأسها قضايا «الجنسانية» sexualité و"الموت"[16]، التي تهم موضوعنا، والتي في ما يخص شق الجنسانية، فهي تتعلق هنا بالعنف الجنسي في أقصى صوره، وهو الاغتصاب، سواء كان اغتصابا من طرف رجل أو اغتصاب مجموعة رجال أو اغتصابا زوجيا.

حرص إميل دوركايم أولا على التحديد المنهجي والنظري للمعنى السوسيولوجي للانتحار، حيث يقول: «**من بين مختلف أصناف (...) الموت، هناك الذي له وجه خاص، وهو كونه ينجم على يد الضحية ذاتها، والتي تكون بذلك مؤلف هذا الموت. ومن المؤكد أن هذه الخصوصية نجدها كأساس للفكرة التي نكونها حول فعل الانتحار». [...] نصل إذن إلى هذا التعبير الأول: نسمي انتحارا، كل موت ينجم ارتباطا أو حينا من جراء فعل إيجابي أو سلبي تقوم به الضحية بنفسها**».[17]

يستلزم هذا التحديد المفاهيمي، توضيح ما المقصود بالفعل الإيجابي هنا، ويكون التوضيح فرصة للوقوف عند فكرة نوعية قلما تستحضر، خاصة أنها قد تأخذ كل حجمها النظري المفاهيمي في بعده الأداتي في قراءة ظاهرة الانتحار «الجهادي» أو «ما يصطلح عليه أيضا «انتحار المتطرف(ة)» دينيا.

لنستأنس بالنص التالي لفهم البعد المقصود بالتدقيق: «**الذي ومن أجل بلوغ الاستشهاد، يقتفي جريمة، والتي يعرف أنها قصوى، والذي يموت على يد «جلاده»، هو في نفس الوقت المؤلف الشخصي لنهايته كما لو كان قد تلقى بنفسه الضربة القاتلة، على الأقل، لا مجال لتصنيف هاتين (الوضعيتين) الإراديتين من الموت كأنهما صنفين، لأن الاختلاف ما بينهما ليس إلا اختلاف عناصر مادية لأجرأة (فعل) الموت**».[18]

يحيل هذا النص على فكرتين أساسيتين في مضمون مفهوم الانتحار. الأولى، هي ما ورد في التعريف السابق، والذي مفاده أن ضحية الانتحار وهي تقبل عليه، تعرف مبدئيا حتمية الموت الذي ينتظرها.الفكرة

16- Chikhaoui Naïma. « Le viol dans le discours religieux au Maroc ». in: Corps des femmes et espaces genres arabo-musulman. Paris. Karthala. Université Sorbonne nouvelle Paris 3. 2017

17- اعتمدت المساهمة النسخة الرقمية لمؤلف إميل دوركايم: (الانتحار، 1897) المنجزة والموضوعة من طرف أخصائي السوسيولوجيا Jean-Marie Tremblay مرجع سبق ذكره، ص 12

18- المرجع نفسه، ص 2

الثانية هنا، هي تلك القوة الفاعلة أو المفسرة على الأقل، وهي قوة وضغط أو إكراه المجموعة. وهنا، يقول إميل دوركايم «هناك واقع (مجتمعي) خارج وأعلى من الفرد»، بل أكثر من ذلك يرى أن شحنة وقوة صدى الانتحار هو ناتج عن مدى قوة ضغوط المجموعة.

نضيف مع إلزو كاربونال كموس EliseuCarbonell-Camós، عنصرا مهما يبرز كيف أن الانتحار هو وقع اجتماعي في نهاية الأمر، حيث يقول: «**من تبعات الانتحار أيضا الإيقاف الإرادي لزمن الحياة الفردي، ويأتي بذلك الفعل الانتحاري ليسجل في الزمن الاجتماعي**»[19].

يهمنا في نفس الآن، التصنيف الدوركايمى للانتحار، لنتساءل عن أي صنف من الانتحار يدخل فيه لجوء المغتصبة إلى قتل نفسها والحسم في الانتحار؟

وهنا، نشير إلى أن دوركايم يتحدث عن أربعة أصناف من الانتحار: الانتحار الأناني، الانتحار الغيري، انتحار الاضمحلال الاجتماعي أو ما يمكن ترجمته بانتحار الأزمة والوهن الاجتماعي، وأخيرا انتحار القدر أو «الحتمي».

إذا كان الانتحار الأناني هو تعبير عن شدة الحس والمعيش الفرداني، والذي يكشف في نفس الحين أن الاندماج الاجتماعي لدى هذا الشخص ضعيف، فإن الانتحار الغيري هو ما يفصح عن درجة عالية من الاندماج حد الذوبان في قيم وقواعد المجموعة. فكل إحساس بأن الالتزام غير المتناهي بهذه القيم يجعلها تقتل صاحبها، وهذا يشكل نسبة «عادية» للانتحار تحدث في المجتمع في حالة خضوع تام لهذه القيم. أما انتحار «**القدر» فهو نتاج لقهر خارجي تام وظالم**»، كما كتب بخصوصه فليب بيزنغ Philipe Besnard.

ويستشف هذا الأخير التعريف من اشتغاله على مؤلف دوركايم في إشارة مقتضبة جدا، ويعرفه كما يلي: «**العجز عن استدماج قواعد غير عادلة ولا شرعية لها، لأنها مفروضة من الخارج (العبيد)، غير مفيدة (النساء المتزوجات) ومتشددة (الأزواج الشباب)**»[20].

19- Eliseu Carbonell-Camós "Les dimensions temporelles du suicide: une hypothèse*." Santé mentale au Québec 332 (2008): 225–245. DOI: 10.7202/019676ar

https://www.erudit.org/fr/revues/smq/2008-v33-n2-smq2554/019676ar.pdf

20- Philippe Besnard, L'anomie, Paris, PUF, 1987, p. 97, cité dans « analyse durkheimienne du suicide: contr - verses méthodologiques et théoriques. », Joëlle GARDETTE Publié dans Aspects sociologiques, vol 8, no 1-2, printemps 2001, pp. 50-63

http://www.fss.ulaval.ca/cms_recherche/upload/aspectssociologiques/fichiers/gardette2001.pdf

هذا التعريف نجد له معنى أدق عند مفكر آخر اشتغل في جغرافية آسيوية مختلفة ثقافيا، ولكنها مكنته من وضع الأصبع أيضا على غلبة «القهر» الاجتماعي كعامل أساسي ومباشر، وهو ما نقرأه في حمولة المصطلح الذي يستعمله، وهو «الهشاشة الانتحارية».

يفيد شارل ماكدونالد Charles J-H Macdonal من خلال اشتغاله حول الانتحار في الفليبين، تحديد المفهوم بإضافة تدقيق إبستيمي، إذ يثير الانتباه إلى ضرورة التمييز ما بين السلوك والبعد النفسي الديناميكي للفعل الانتحاري، والذي يوصل فردا معينا للإقدام على خلاص نفسه بنفسه، وبين تعدد أو تكرار الموت عبر الانتحار داخل مجموعة بشرية مجتمعية معينة. بهذا يستعمل ماكدونالد مصطلحا وازنا من حيث تعبيره الوجيه عن البعد الاجتماعي للانتحار، والذي ينطبق بشكل كبير على إشكالية الانتحار والنساء عموما، وبشكل أخص في حالة من تعرضت للاغتصاب، واختارت سبيل نهاية موت الانتحار، فيتحدث عن **«الهشاشة الانتحارية»**.

إن الموت في لباس أو «حجاب» الانتحار يتكرر عند النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب، وهو مؤشر دامغ على بنيوية وضمنية «هشاشة انتحارية»، هي في الأصل هشاشة اجتماعية تخترق حياتهن كقدر خارج عن إرادتهن. هو مجموع صور، وتمثلات وممارسات تستبيح موت أجسادهن عبر عنف جنسي، هو الصدمة النفسية الوجودية التي غالبا ما تحدث، قتل اجتماعي عبر الإقصاء الاجتماعي.

3. الموت انتحاراً عند المغتصبة على ضوء قراءة مقاربة النوع الاجتماعي

من الصعب تبني مفهوم "الانتحار الأناني" حسب تحديد إيميل دوركايم لفهم واقع حال المنتحرة على إثر عنف الاغتصاب، لأن "الانتحار الأناني"، الذي يتميز بالعزلة والابتعاد عن المجموعة والمجتمع هو مناقض لوضعية المعنفة جنسيا التي قذفت بها القيم المجتمعية ظلما خارج دائرة المرغوب فيهن، فالوضعية الاجتماعية المسبقة هي التي تضع خيار العزلة المميتة قبل الموت الفعلي موضع تساؤل.

يقول إيميل دوركايم: "حمايتنا الوقائية من الانتحار الأناني لا تأتينا إلا من كوننا نمر بتنشئة اجتماعية"، ليضيف أن الرجال يقبلون بحكم درجتهم الأعلى في التنشئة وفي المشاركة في الشأن الاجتماعي على الانتحار أكثر من النساء. فعن أي تنشئة نتحدث؟ هناك أيضا التنشئة القاسية المجحفة جنسيا، والتي قد تدفع إلى الانتحار، كما هو الشأن في حالة التعرض للاغتصاب.

كما وقفنا عند السوسيولوجية الدوركايمية لفهم الموت من خلال إشكالية الانتحار، وحاورناها من خلال وضعية انتحار المرأة أولا، وثانيا المرأة التي تعرضت لعنف الاغتصاب من طرف رجل ما، وأقدمت

على قتل نفسها، نستعين بفيلسوفة غالبا ما تنحو في بناءاتها الفكرية إلى علوم إنسانية واجتماعية مختلفة، وتغني أطروحاتها بإضاءات التحليل النفسي والتنظير النسوي féministe، وهي جوديت بتلر 1956 Judith BUTLER، حيث نقف خصوصا عند مؤلف ترجم إلى اللغة الفرنسية، يمد تحليلينا بمعطيات فكرية تصب مباشرة في فلسفة الحياة والموت في تصور فلسفي معاصر، هو في اعتقادنا خط متفرد في الساحة الفكرية، بناءً على ما تحدثه إصدارات هذه المفكرة من ديناميكية فكرية إشعاعية، واستفزاز فكري في أطروحاتها الما بعد- حداثية.

يطرح مؤلف «ما يشكل الحياة: مقال حول العنف، الحرب والحداد»[21]، أسئلة فلسفية جديدة بخصوص هذه الثلاثية المرتبطة بموضوع الموت، ويغني المقاربة الفكرية لمفهوم الحياة عند الفيلسوفة جوديت بتلر، المتميزة بحسها الإبستيمي الدقيق الذي لا يفك المفهوم من ازدواجية حميمية حياة /موت، فهي تسلم نظريا وبشكل قبلي بأن فكرة الحياة لا يمكن اعتبارها قد تعرضت لجرح أو افتقدت إذا لم يتم اعتبارها من قبل على أنها حية «vivante»".

لكي نفهم عمق هذا الطرح، نشير إلى أن الفيلسوفة تنطلق من مآل الحروب، وبالضبط تلك المرتبطة بعهد الرئيس بوش في العراق وأفغانستان، التي من بين أبشع وجوهها "صور سجن أبو غريب"؛ أي موت لسجناء يعاملون كشيء ويقتلون في كرامتهم، قبل أن يقف آخر رمقهم ويشهر هذا عبر صور تعلن عن شكل موت قريب، يصعب تصور ما سيتبعه من وقع فقد من حيث المعاني الرمزية على الأقل؟

تحدد المؤلفة تموقعها الفكري، وتعلن أن منطلق تساؤلاتها نابع من تصاعد واستفحال معاش العنف، وتلخص في بضع أسئلة منطلق تحليلها: «من الحامل لقيمة كائن إنساني؟ ما هي أصناف الحياة التي هي حقا مدينة، لأن تحمل قيمة حياة؟ وأخيرا، وما الذي يجعل من حياة معينة أنها تستحق أن تنعى - حالة الفقد -؟».[22]

يفصح تحليل جوديت بتلر، وبشكل صريح، عن الأطر السياسية التي نقارب ونعيش من خلالها الموت/الحياة، وتقول: «من جهة، المشكل هو وجودي (أنطولوجي)، إذ السؤال المطروح هو: «ما الحياة؟». «كينونة» الحياة نفسها هي مكونة بشكل انتقائي، ينجم عن هذا أننا لا يمكن لنا أن نحيل إلى «كائن» («أكون») خارج عمليات السلطة، ويكون من اللازم علينا أن نحدد الآليات الخاصة للسلطة التي من خلالها يتم إنتاج الحياة».

21- Judith Butler, Ce qui fait une vie. Essai sur la violence, la guerre et le deuil, traduit de l'anglais (États-Unis) par Joëlle Marelli, Paris, La Découverte, «Zones», 2009

22- Judith Butler Vie précaire. Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre 2001. Paris. Editions Amsterdam. 2005. P. 46

الفكرة الجوهرية الرئيسة التي استوقفتنا، هي ما يجرد الأنسنة déshumanisation، أو يعدمها، مثل حال الحروب المعاصرة، وعلى رأسها الحروب الأمريكية في الألفية الأولى من القرن الواحد والعشرين، والتي عاشتها النساء مثلا بكل المآسي التي ذاقها الرجال، ولكن زائد عنف الاغتصاب الفردي منه والجماعي. وهنا يتضح جليا كما في حالات العنف القائم على النوع الاجتماعي، أن الأصل في الفعل هو تجريد أنسنة الآخر، كما هو متكرر خارج الحدود الجغرافية والزمانية، في لحظات الاغتصاب والمغتصب ينعت ضحيته بكل ما ينزع عنها إنسانيتها ويختزلها في «شيء» جنسي لا روح له، غير ربما «لحم» تكون «شهوته» مغلوبة فيه أو غير متحكم فيها.

نستحضر بعدا آخر يكمل هذا البعد النظري، وهو عنصر «الأنا» كمكون سيكولوجي واجتماعي (الفرد أو الشخص)، والذي يكشف حقيقة أننا نواجه موت وفقد الآخر من منطلق ذواتنا العلائقية. هذه المواجهة تأخذ تعبيرها العميق في معادلة تقول: «كوننا نعيش تجربة الفقد، نقف عند كوننا تملكنا أو حصلنا [ارتباطا إنسانيا أو شيئا]، كانت لنا رغبات وأحببنا، ناضلنا وعملنا من أجل إيجاد شروط إشباع رغباتنا».[23]

نستشف من البناء النظري الشمولي لفقد الموت عند جوديت بتلر، أن القراءة وهي تصبو إلى تعميق الفهم، تحتاج إلى اختراق الغلاف الديني أو نزعه منهجيا لنتمكن من تحليل البعد الحميمي الشخصي والاجتماعي السياسي الذي يذهب غالبا إلى أبعد مما هو ديني مجرد، سواء كان معتقدا أو معاملة وعملا أو الاثنين في نفس الوقت إذا هما تزاوجا. هذا دون إغفال حالات التداخل المعقد بين كل هذه المستويات في المنظومة الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد في كل الأحوال، أحوال تختلف، وهي موضوع تحولات مستمرة.

بالنسبة إلى المقاربة الدينية، والتي تتقارب بشكل كبير في مجموع الديانات التوحيدية، قد نكتفي بمثال النص القرآني في الإسلام، والذي بخصوصه يستحضر بعض الأكاديميين الذين تناولوا مسألة الانتحار، جزأين أو نصين من آيتي النساء والفرقان الآتيتين: "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً" (النساء: 29، 30). "وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً" (لفرقان: 68، 69). ما يهم في تحليلنا ليس هو التحريم بالنسبة إلى قتل النفس، والتي هي واضحة الإحالة إلى ما يمكن أن يقترب من مفهوم الانتحار أكثر مع تعبير "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (النساء: 29، 30)، بقدر ما هي الإشارة إلى أن "رحمة الله" (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)، هي الوعد الإلهي للتخفيف من تصلب وشدة ما قد يواجه به الفرد على إثر فعل "إثم" أو "خطأ".

23- Judith Butler Vie précaire. Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre 2001. Paris. Editions Amsterdam. 2005. P.46

خارج النص القرآني، ينتصب المجتمع، الرجالي عموما لأنه حامل السلط، لكي يخلق أوجه عذاب "أرضية"، ويسلط وضع الهوان على المغتصبة التي تنتحر قبل الموت، علما، أن الدين الإسلامي لم ينص على الوسائط ما بين الله وعباده.

يحدد مجتمع يقوم على تجميع سلط سن القواعد والأعراف والممارسات بين أيدي الرجال، أن لاحق في الحداد للمنتحر(ة)، ونلخص في جملة، ودون الخوض في نقاش القاعدة من زاوية الرأي والطرح الديني، نستعيرها من الفيلسوفة جوديت بتلر، وهي تتساءل: «**هل كان تحريم الحداد تمديدا للعنف [...]، كيف أن هذا التحريم يفرض نفسه كفعل يقف في وجه تحديد المسؤوليات؟**»[24]، وهي تعني هنا موتا جاء في شكل فعل وصورة ووقع عنف.

لا يقف الأمر بخصوص الموت والنساء عند هذا الحد، من حيث تشريع أهل الشرع الإسلامي من الرجال، إذ يحددون بعض دقائق الأمور، كمثل طقوس الدفن، والتي غالبا ما يثار بخصوصها، أمر منع النساء من مصاحبة الميت إلى مثواه الأخير بحجة أن النساء سريعات الانفعال، وتعجزن عن ضبط أنفسهن، وتعبرن بشكل صارخ عن ألمهن (البكاء والتخشب الجسدي...). في حين أبانت الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية أن مثل هذه المظاهر التعبيرية القوية، كانت معروفة منذ القدم عند الرجال والنساء، وأنها فقط تغيرت. عرف نعي وبكاء الميت عند اليهود بشد الشعر واللحية وتمزيق اللباس وغيرها عند الرجال، وفي هذه الممارسات ضبط طقوسي لما تمثله الموت من تهديدات لمن هو باق بالحياة وليس فقط للتعبير عن حزن فقدان القريب. ظاهرة «حرفيات» البكاء التي وصلتنا منذ اليونان، عرفت أكثر عند النساء ولكن الأثر الأنثروبولوجي يوضح وجود نفس الفعل الثقافي عند الرجال. هذا فقط استشهاد عما يفعله البناء الاجتماعي التمييزي الحيفي في تأويل أمور عامة لها علاقة بالفقد المرتبط بالموت.

ونحن نستحضر الطرح الديني في بعد الأنسنة فيه، بمعنى أن الرحمة الربانية، تقدم كبديل مطمئن حتى لا يقدم البشر على الانتحار، ويعرضون أنفسهم بعد الموت «لعذاب جديد وأشد». وبالرغم من كل خرق، نضيف إلى هذه العناية الإلهية، ما يلزم على مستوى بشري من عناية لها القدر الوفير أيضا من البعد الوقائي من بعض أصناف ووضعيات تهديدات الموت، ومنها الانتحار» بالضبط.

تثير جوديت بتلر الانتباه إلى مسألة بديهية، وهي: «كون الكائن الحي مقدم على الموت، من الضروري العناية به حتى يتمكن من أن يعيش. لا تظهر قيمة الحياة إلا في الشروط التي يكون معها الفقد «**شأنا**» **يعنينا، وبالتالي، إمكان الحداد هو افتراض لحياة تحظى بالاهتمام(...) ومع انعدام إمكانية الحداد، ليست**

24- Judith Butler Vie précaire. Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre 2001. Paris. Editions Amsterdam. 2005. P. 181

هناك حياة، أو بالأحرى هناك (فقط) شيء يعاش، وهو شيء آخر غير الحياة. عوض هذا «هناك حياة لم يسبق لها أن عيشت (فعلا)، حياة لا تشدها نظرة، لا تحظى بأي شهادة، والتي لن يبكيها أحد عند افتقادها. الحضور المسبق للقلق بخصوص إمكانية الحداد هو ما يخلق قلق الحياة الهشة، ويسبق إمكانية الحداد، وهي ما تجعل قلق الكائن الحي ككائن حي يواجه حتما عدم- الحياة».[25]

يكشف البناء الفلسفي العميق لجوديت بتلر Judith BUTLER، في قراءتها لإشكالية الحياة والموت من زاوية مادية براغماتية، عن معادلة هي في تعقدها سهلة مانعة، تجعل الموت يأخذ معناها أيضا من جملة بسيطة طالما تتردد على ألسنتنا، وهي: "قل لي كيف مت، أعرف كيف عشت". موت النساء المعنفات حتى وهو يأخذ شكل انتحار يحرمه الدين ويستهجنه المجتمع، يظل تعبيرا عن موت اجتماعي، وهو قتل عمد لقيم غير عادلة ومميتة في تكرار أمده، لا هدر إنسانية وكرامة النساء الضحايا الناجيات فقط، واللواتي قد يضعن حدا لنجاة كلفتها في العيش تكون قاتلة باللجوء إلى حد الانتحار.

خاتمة

نختم بخط فكري يلهمنا بقوة ونتقاسم المرجعية الفلسفية (هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel 1770-1831) والتحليلية النفسية (ميلاني كلاين Melanie Klein 1882-1960) التي تستند إليها، وفي نص بالغ بقلم الفيلسوفة جوديت بتلر، تقول فيه: «كما يشيرا بدقة، كل بطريقته، هيجل وميلاني كلاين، يكون من الأرجح أن المقاربة القلقة بخصوص الهشاشة تؤدي إلى تصاعد العنف، وأن إدراك الضعف الجسدي للآخرين يُؤجج الرغبة في هدمهم».

هناك من الموت ما يسطر حتميته أثر سلطة مميتة اجتماعيا قد تقتل في قناع انتحار، قدم نقابا يخفي جرحا وشخصنة وتشخيصا كبش فداء، ويدا مستعارة قاتلة لنفسها، لتغطي مسرح جريمة هو جسد قتل اغتصابا جنسيا وعنفا عمدا. ضحية يصبح، وربما كما كانت غير أهل لحداد أو نعي، فقدها كبقائها لا معنى لهما، ولا رغبة في تحسر أو بكاء قد يخففا منهما في حالتي البقاء أو الموت.

حلقات العنف بكل أشكاله، ومنه الثقافي الرمزي الذي عموما يلخص في النمطية الجنسية التبخيسية والمركزة الدُونية، التي تتخلل بشكل عرضاني مختلف الحقب الحياتية قبل الولادة ومنذ الطفولة الأولى، هي ما يحدد معاش وسيناريوهات الموت التي تعرفها النساء، والتي تتشخص في دراما عنف الاغتصاب الذي غالبا ما يسدل الستار بموت الضحية انتحارا ليترك رسالة خارج «ترف» الحداد الذي لا تعرفه، رسالة

25- Judith Butler. Vie précaire. Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre 2001. Paris. Editions Amsterdam. 2005. P. 20

تسائل الأحياء «ما معنى أن تموت إذا لم تعش أصلا؟»، و«ما معنى أن تموت إذا لم تحظ بما يحافظ ويقي حياتك من هلاك الموت الحتمي كفعل بشري غالبا لا يعاقب عليه لتأتي ضحيته على عقاب «نفسها»؟»، وهل فقد «شرف» يستلزم فقد روح قلما تحظى حتى قبل الموت بفرص التألق وضمانات الحماية؟

لعل المخرج من هذا التوجه المجتمعي الذي قلص من شحنة وعمق وسعة مبدأ الأنسنة، هو ما تراه الفيلسوفة ضرورة فكرية وأرضية تصور سياسي، تذهب أبعد من حيوية توفير الحقوق والحماية وشروط التألق للفرد المهمش والمحكوم عليه بالهشاشة، لتراجع مشروع إعادة نظر وبناء معرفي وفكري لوجودية الجسد أو لأنطولوجيا جسدية جديدة تدقق في المضامين المفاهيمية لبعض العناصر التي نترجمها حسب صياغة المؤلفة ذاتها، من الهشاشة précarité، والتبعية للآخر، والتي تعبر عن محدودية الاستقلالية أو انعدامها l'interdépendance، الرغبة désir، الانتماء الاجتماعي l'appartenance sociale، وغيرها.

إن الأرضية النظرية التي ستكون مرجعية لهذه الأفكار، سوف تولد طرحا آخر لمفهوم الموت، وهي تلك التي تلخصها فلسفة جوديت بتلر في كون وجودية الجسد لا تنفك ترتبط بالقيم المجتمعية وبالمنظومة المجتمعية والسياسية، التي هي بناء مجتمعي إنساني طالما غذى الهشاشة بشكل اختلافوي تمييزي يجعلها فتاكة بالنسبة إلى البعض، ويحد للغاية منها بالنسبة إلى الآخرين. إن هناك إضافة حتمية متعسفة تزرع الموت البطيء في سيرورة العيش والحياة، عرفها العبيد والنساء منذ الأزمنة الغابرة، فهل يمكن أن تتغير الأحوال، وتموت العباد "سواسية" بحكم مساواة العيش الكريم و"الحياة" الكريمة؟!

لائحة المراجع

Chikhaoui Naïma. « Le viol dans le discours religieux au Maroc ».in: Corps des femmes et espaces genres arabo-musulman. Paris. Karthala. Université Sorbonne nouvelle Paris 3. 2017

Eliseu Carbonell-Camós «Les dimensions temporelles du suicide: une hypothèse.» Santé mentale au Québec 332 (2008): 225–245. DOI: 10.7202/019676ar

https://www.erudit.org/fr/revues/smq/2008-v33-n2-smq2554/019676ar.pdf

Judith Butler, Ce qui fait une vie. Essai sur la violence, la guerre et le deuil, traduit de l'anglais (États-Unis) par Joëlle Marelli, Paris, La Découverte, «Zones», 2009

Judith Butler Vie précaire .Les pouvoirs du deuil et de la violence après le 11 septembre.2001 Paris .Editions Amsterdam2005 .

Les femmes dans le monde 2015, Tendances et statistiques, Chapitre 6, La violence contre les femmes, Département des affaires économiques et sociales des Nations Unies, 2015

http://www.unwomen.org/fr/what-we-do/ending-violence-against-women/facts-and-figures.

Nasrullah M, Haqqi S, Cummings KJ. The epidemiological patterns of honour killing of women in Pakistan. European Journal of Public Health, 2009, 19(2): 193–97 http://apps.who.int/iris/bitstream/10665/86253/1/WHO_RHR_12.38_fre.pdf

Organisation Mondiale de la Santé, Département Santé et recherche génésiques, London School of Hygiène and Tropical Médicine, Conseil sud-africain de la Recherche médicale (2013). Estimations mondiales et régionales de la violence à l'encontre des femmes: prévalence et conséquences sur la santé de la violence du partenaire intime et de la violence sexuelle exercée par d'autres que le partenaire, p.2. http://www.unwomen.org/fr/what-we-do/ending-violence-against-women/facts-and-figures

Office des Nations Unies contre la drogue et le crime (2014). Étude mondiale sur l'homicide 2013, p- PATH. Strengthening understanding of femicide. Seattle, Program for Appropriate Technology in Health, 2008. 5. Patel S, Gadit AM. Karo-Kari: http://apps.who.int/iris/bitstream/10665/86253/1/WHO_RHR_12.38_fre.pdf.

Philippe Besnard. « Durkheim et les femmes ou le Suicide inachevé », in: Revue française de sociologie Année 1973 Volume 14 Numéro 1 pp. 27-61 http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1973_num_14_1_2177

Philippe Besnard, L'anomie, Paris, PUF, 1987, p. 97, cité dans « analyse durkheimienne du suicide: controverses méthodologiques et théoriques. », Joëlle GARDETTE Publié dans Aspects sociologiques, vol 8, no 1-2, printemps 2001, pp. 50-63

http://www.fss.ulaval.ca/cms_recherche/upload/aspectssociologiques/fichiers/gardette2001.pdf

http://www.editions-zones.fr/spip.php?page=lyberplayer&id_article=110

http://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/Vienna.aspx.

http://www.la-croix.com/Actualite/Monde/Un-desequilibre-demographique-qui-inquiete-l-Asie-_NG_-2010-03-05-547868

https://www.amnesty.ch/fr/themes/droits-des-femmes/faits-chiffres-et/faits-et-chiffres

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018